رئاسة الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة العامّة
دير مار أنطونيوس – غزير

رسالة عامّة
إلى أبناء الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة

زدنـا إيمانًـا

أصدرها
قدس الأب العام هادي محفوظ
في مناسبة عيد أبينا القديس أنطونيوس الكبير

*

٦ كانون الثاني ٢٠٢٤

رئاسة الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة العامّة

دير مار أنطونيوس – غزير

عدد: ١٣/٤٣٠٤

رسالة عامّة

إلى أبناء الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة

زدنـا إيمانًـا

أصدرها

قدس الأب العام هادي محفوظ

في مناسبة عيد أبينا القديس أنطونيوس الكبير

*

٦ كانون الثاني ٢٠٢٤

حضرة الآباء الأجلّاء والإخوة الأحبّاء،

أبناء رهبانيّتنا اللبنانيّة المارونيّة المحترمين،

١. "زدنا إيمانًا" (لو ١٧: ٥). هذا كان نداءَ الرسل إلى يسوع، نداءَ المستغيث المترجّي عضدًا، في مسيرة الكمال في الإيمان، في مسيرة التنشئة عليه. نختار هذه السنة، في مناسبة عيد القدّيس أنطونيوس أبي الرهبان، التأمّل في طلب التلاميذ هذا، لأنّ الكمال ٱستهوى أبانا القدّيس أنطونيوس، شفيعنا ومثالنا، بعد أن سمع قول يسوعَ للشابّ الغنيّ: "إن شئت أن تكون كاملًا" (متى ١٩: ٢١)، ولأنّ موضوع التنشئة الّذي يبرز من هذا الطلب يأتي في سياق الخيار الأساسيّ في الإيمان الّذي تأمّلنا فيه السنة الفائتة، في الرسالة الّتي حملت عنوان "بين أرض وسما".

ما يَلفُتُ الِانتباهَ أنّه بطلبهم هذا، عبّر الرسل عن حاجة ملحّة، إذ إنّهم، بهذا الطلبِ، لم يعبأوا بخرق الصمت الّذي عوّدونا عليه في تلك المرحلة من سيرهم مع الربّ يسوع. هي المرّة الوحيدة الّتي يتكلّمون فيها ضمن جملة أحداث متتالية غير منفصلة، تبدأ مع الفصل الشهير من إنجيل لوقا، أي الفصل الخامسَ عَشَرَ منه (لو ١٥: ١)، وتنتهي في الفقرة الّتي تضمّ آية "زِدنا إيمانًا" (لو ١٧: ١–١٠). في جملة الأحداث هذه، نجد التلاميذ، مع يسوع، يراقبون مواقفه تجاه الخطأة ويسمعون تعليمه في شأنِهم وعن الخيور المادّيّة، ويسمعون أمثاله وخصوصًا مثل الأب والِابنَين، أو مثل الِابن

الشاطر (لو ١٥: ١١-٣٢). هناك، ينبري الفرّيسيّون ضدّ يسوع، ويرفضونه. يرفضون تعليمه ويرفضون مواقفه من الخطأة ومن الخيور المادّيّة، فيظهرون غير سامعينَ للكتاب المقدّس.

يتّضح معنى طلبِ التلاميذ في لو ١٧: ٥: "زدنا إيمانًا" على ضوء هذه المعطيات جميعِها، وبالأخصّ على ضوء الفقرة الّتي ينتمي إليها (لو ١٧: ١-١٠)، فنتأمّل في آيات هذه الفقرة، وبعد كلّ تأمّل، ينصبّ فكرُنا في واقعنا ونأخُذُ العِبَرَ ونزدادُ إيمانًا.

٢. طلبُ الرسل "زدنا إيمانًا"، موجّه إلى الربّ، كما تعلّمنا الآية **لو ١٧: ٥** ذاتُها. فالربّ مصدر الإيمان، كما هو مصدرُ زيادتِه. هو يُعطيه وهو يَزيده. الرسل عالِمون أنّ الإيمانَ، كما زيادتَه، نعمةٌ من عنده، ولا شكّ في أنّهم ضمّنوا سؤلَهم وعدًا بتثمير ما يعطيهم إيّاه، أي الإيمان وزيادته. هذا سوف يكون جوابَهم على نعمةِ الربّ.

لقد طلبوا منه ذلك، بعد أن دعاهم واختاروا اتّباعه، وخصوصًا بعد أن رأوا أفعاله وسمعوا كلامه، بعدما جالوا معه حينَ جال على أرضنا يصنع الخير (أع ١٠: ٣٨). أرادوا أن يزدادَ ايمانهم، أي أن يُفيضَ فيهم الربُّ يسوعُ قوّةً إيمانيّة إضافيّة، وأن يدلّهم على طريقةِ زيادةِ الإيمان، أو، بتعبير آخر، أن ينشّئَهم. إنّ الزيادة في صوغِ شخصيّتِهم المؤمنةِ هي تنشئةُ الشخصيّة. هم، بسؤلهم، أعلنوا استعدادهم للتعلّم والتنشئة.

لكنّ جواب يسوعَ المباشر على طلبهم بدا وكأنّه في خطّ تفكيرٍ مُغايرٍ، أو إنّه نقلهم إلى ساحة فكريّة أخرى. لقد أجابهم: "لو كانَ فيكمٍ من الإيمانِ مقدارُ حبّةِ خردل، لكنتم تقولون لهذه التوتة: انقلعي،

وٱنغرسي في البحر، فتطيعكم!" (**لو ١٧: ٦**). وكأنّه بذلك قائلٌ: آمنوا؛ يكفي الإيمان. أو أيضًا: آمنوا؛ إمّا لَدَيكُمُ الإيمانُ وَإمّا لا إيمانَ لَدَيكُم؛ لا موقفَ وسطيًّا في الإيمان. أو، بعبارة أخرى مستوحاة من موضوع رسالة عيد مار أنطونيوس الكبير للسنة الفائتة: تَموضَعوا جيّدًا "بين أرض وسما".

من المؤكّد أنّ يسوع، بجوابه، لا ينفي إيمانَهم به، فهم تلاميذُه الّذين ٱختارهم والذين يعرفهم بأسمائهم، فردًا فردًا (مر ١: ١٦-٢٠؛ ٣: ١٣-١٩)، والّذين ما زالوا برفقته على دروب تدبيره الخلاصيّ.

ومن الواضح، أيضًا، أنّه لا يعترض على طلب زيادة الإيمان، إذ إنّه، في أماكن أخرى، يقول لهم: "يا قَليلي الإيمان" (متى ٦: ٢٠؛ ٨: ٢٦؛ ١٦: ٨؛ ١٧: ٢٠)، وهو نعتٌ لم ينجُ منه رأسُ الرسل، القدّيس بطرس، فهو من قال له يسوع: "يا قَليل الإيمان، لماذا شككت؟" (متى ١٤: ٣١)، عندما مشى على المياه وٱشتدّت الريح وخاف وبدأ يغرق وصرخ: "يا ربّ نجّني" (متى ١٤: ٢٩-٣٠).

إنّ يسوع، في جوابه، يُظهِرُ لهم أنّ علامةَ وجودِ الإيمانِ هو سعيُ الإنسان إلى زيادتِه، على الدوام. من هنا ضرورة التنشئةِ الدائمة عليه، أي على الإيمان، لئَلاّ يتناقَصَ أو يختفي. هنا جوهر الإيمان، وهذه هي جودته.

لذا، إنّ زيادة الإيمان تتجلّى في تجديده الدائم وصوغِه وبَلوَرتِه، حتّى الجودة الكاملة، في قمم مجد حياة الإنسان وفي مطبّاتِها وعثراتِها الّتي لا يُفلِتُ منها أيٌّ من الّذين خُلِقوا على الأرض. لا يغيبنَّ عن بالنا

أنّ فِعلَ الإيمانِ لا يُحَدُّ في نقطة من الزمن، بل هو ينتمي إلى كلِّ رحلة الوجود. زيادتُه تترافقُ مع إعادة النظر الدائم فيه، مع تنشئَتِه الدائمة.

٣. من خلال الإنجيل، ننظر الآن إليهم، إلى تلاميذ الربّ يسوع، نحنُ أبناءَ الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة، فيحنُّ القلبُ إلى ٱختبارهم، لأنّهم مرآةٌ نَرى ذواتنا من خلالها، ولأنّنا كلَّنا توقٌ إلى ٱختبار ما ٱختبروه، ولو بطريقة مختلفة. كيف لا يرى كلٌّ منّا ذاتَه فيهم، ونحن أيضًا تلامذة ليسوع؟ كيف لا نرى ذواتنا فيهم ونحن، أمام تعليم يسوع والكنيسة، بحاجة ماسّة إلى القول: "زدنا إيمانًا"؟ كلٌّ منّا يعرف أنّ الربّ ٱختاره ودعاه للانضواء إلى رهبانيّتِنا بالذات، دعاه باسمه، وهو يعرفه، كما دعا التلاميذ وهو يعرفهم. وكلٌّ منّا رأى ما رآه التلاميذ، ولو بطريقة مُغايرة، أي عجائبَ الربِّ وحنوَّه ومعجزاتِه، كما سمع كلام الربّ من خلال ما تشرَّبَهُ في العائلة أو الرعية أو المدرسة أو الدير أو في أيّ مكان آخر ٱختبر فيه كلمة الربّ. كلّ منّا، بنوع من الأنواع، برهن، في ظرف مُعيّن، عن قلّة إيمان، وٱستحق سماع صوت يسوع يقول له: "يا قليل الإيمان". كلّ منّا ٱختبر عواصف خضّت بعنف سفينة حياته، فٱضطرب وخاف، ونسي أنّ الربّ هنا، على الدوام، معه في سفينة الحياة، فٱستحق، هنا أيضًا، صوت الربّ يقول: "يا قليل الإيمان، لماذا شككت؟". لذلك، نصرخ: "زدنا إيمانًا".

نحن نعي أنّنا تلقّينا تنشئةً في عائلاتنا وفي كلّ مكان تردّدنا إليه قبل دخول الطالبيّة والابتداء، ونعي أيضًا أنّنا تلقّينا تنشئة في الابتداء، وفي مرحلة النذور الموقّتة، وفي مرحلة النذور المؤبّدة، وقسم كبير منّا في مرحلة الكهنوت وما بعدها، فساهمت التنشئة، في كلّ مرحلة، في

صوغ الإيمان، وفي اكتشافه أكثر، ولكنّنا ما زلنا بحاجة إلى القول: "زدنا إيمانًا".

في نعومة أظفارنا الرهبانيّة، هناك مَن مدّوا الأيديَ إلى السماء فالتقطوا من ألوانها ورسموا على لوحات وجودِنا الرهبانيّ ألوانًا زاهية بهيّة ما زالت ترافقنا. كثيرون تعبوا من أجل كلٍّ منّا في مرحلة التنشئة. وفي خطّ تقليد رهبانيّ عريق، يرافق الراهبَ مُرشدٌ يكونُ له مُنشّئًا في دروب حياته. كذلك، نحن نشكر الربَّ، لأنّه يهدينا على دروبِ حياتِنا في الرهبانيّة، كلَّ مَن وَما يزيد إيمانَنا. كثيرون هم الرهبانُ الّذين يشهدون أمامنا لبَهاء الحياةِ الرهبانيّة وللخميرةِ الطيّبة الموجودةِ في رهبانيّتنا. كثيرون هم من نقف أمامهم بفرح وتأثّر لأنّ صفاءَ روحِهم يرشحُ من وجوههم ومن تصرّفاتِهم. وتأتي التنشئة أيضًا من العديد من الرهبان: كم من راهبٍ مُصابٍ بأمراضٍ صعبة، يُعطي لكلٍّ منّا أمثولاتٍ عن الصلابة الداخليّةِ المتأتّيةِ من إيمانٍ راح يزدادُ طوال المشوارِ الرهبانيّ، ويتقوّى بالتقرّبِ من قدّيسي رهبانيّتنا ومن شفاعتهم! كم من راهبٍ مُسنّ تآلف وجهُهُ والابتسامة، منذ الطفولة الرهبانيّة وحتّى شيخوختها، تعبيرًا عن فرحه المتواصل بحالته الرهبانيّة في رهبانيّتنا! هم جميعهم منشّئون لنا، يعلّموننا، ويذكّروننا بمفاهيم تنشئتنا الأولى، ويُنعشون وجودنا ويجعلون إيماننا يزداد، خصوصًا عندما يدقّ السَأَمُ أو الإحباطُ باب اختبارنا. كذلك، تأتينا التنشئة من آخرين، إكليروسًا وعلمانيّين، سمحوا لوجودهم أن يكون مرآةً لجمال الحياة المسيحيّة.

ولكنّ مسيرةَ كلّ منّا متحرّكةٌ غيرُ ثابتة. لذا وعيُ صرخة "زدنا إيمانًا" يجعلُنا نستنهض فينا مقوّماتِ حياتنا، وما تلقّفناه في مرحلة التنشئة الأساسيّة، ويجعلنا نفتّش، كلٌّ على طريقته، عن كيفيّة

عيش تنشئة مستمرّة لا تدعُنا نحيدُ عن الطريق. كلّ منّا يخطأ، بدون أيّ ٱستثناء، ويعتقد الكثيرون عندما يُنهون مرحلة التنشئة الأساسيّة أنّ صياغة شخصيّتِهم بلغت نوعًا مِنْ مرحلةِ اللاعودة في الكَمال، وأنّها سوف تبقى هِيَ هِيَ، نضرة وَجيّدة وَملتزمة. ولكن، مع تقدّم الأيّام، قد تعتري البعضَ نقائصُ، فينزلون عمّا ٱعتقدوه عروشًا ثابتةً في مرحلة اللاعودة في الكمال. بالرغم من ذلك، يتعذّر عليهم أن يرَوا في نفوسهم أمرًا غيرَ ما كانوا عليهِ من أعوام، فلا يتيقّنونَ أنّهم تغيّروا. الموقف الصحيح هو موقف الصراخ: "زدنا إيمانًا"، هو موقف التفتيش عن التنشئة لِاستعادة زَخم ٱتّباع يسوع. هذه هي تلمذتنا المسيحيّة والرهبانيّة في رهبانيّتنا الحبيبة. نحن بحاجة إلى أن نستعين بأنفسنا لنقيِّمَ أنفسنا بحقّ، فنقرّ بما آلت إليه الأمور فينا، ونروح نشذِّب ما زادَ على ما كُنّا عليه ولكنّه غير مناسب لنوعيّة حياتنا. يعي كلٌّ منّا أنّ كلَّ أمر في الحياة هو مُنشِّئ، وكلَّ إنسانٍ وضعه الربّ على دربنا هو مُنشّئ لنا. نحن نتغيّر بفعل كلّ ٱختبار، أصغيرًا كان أم كبيرًا، فَعلينا مراقبةُ ذواتنا والتدخّلُ حيث يلزم. علينا الركونُ إلى مقوّمات حياتنا نستند إليها، مثل التأمّل في كلمة الله والصلاة والإفخارستيا والرياضة الروحيّة الجدّيّة وكتابات الآباء وتعاليم الكنيسة وسير القدّيسين والكتابات اللاهوتيّة والروحيّة (قوانيننا، المواد ٦٨–٧٧). علينا إبقاءُ قنواتِ الِاتّصال بالله مفتوحة، لدرء كلّ زيادة هي غير زيادة الإيمان. يا ربّ: "زدنا إيمانًا".

٤. لقد تضرّع التلاميذ قائلين: "زدنا إيمانًا"، بعدما سمعوا يسوع يعلّمهم عن المصير المشؤوم لمسبّبي الشكوك. قال يسوع: "لا بدّ أن تأتي الشكوك، ولكن الويل لمن تأتي على يده" (**لو ١٧: ١**). والشك، في اليونانيّة، هو فخّ أو مصيدة تُنصب لِالتقاط آخر، وتحمل

هذه الكلمة، في العهد الجديد، المعنى الّذي ٱعتدنا عليه، أي الأعمال الّتي تخرج عن الأعراف والقواعد والقيم، والتجربة الموقِعَة في الخطيئة، والتمليق المؤدّي إلى الانحراف عن الإيمان أو الجحود. مع أنّ الشكوك آتية لا محالة، فالويل لمسبّبيها، إذ إنّه خير لهم أن يُطوَّقَ عنقهم برَحى الحمار ويُطرحوا في البحر (**لو ١٧: ٢**). ومعنى الشكوك في هذا الإطار يشير إلى التمليق لِلانحراف عن التعليم الصحيح في ما يخصّ الإيمان، بشكل يشوّه الإيمان أو يدفع المرء إلى ترك التعليم الإيمانيّ الصحيح. مسبّبو الشكوك هم متملّقون وأصحاب تعاليمَ ضالّة. مباشرةً قبل التعليم عن الشكوك ومصير مسبّبيها، يُظهر يسوعُ الفريّسيّين أصحاب تعاليم خاطئة، ويُشير إلى الكتاب المقدّس كمصدرٍ صافٍ للتعليم (لو ١٦). إنّه أسهل أن تزول السماء والأرض من أن تسقط نقطة واحدة من الكتاب المقدّس (لو ١٦: ١٧). وهذا ما أشار إليه مرارًا وتكرارًا في تعليمه في الأناجيل، وهذا ما سوف تقدّمه إلينا أيضًا كتاباتُ العهد الجديد الأخرى هديّةً نستقي منها خلاصًا. تصدحُ في أرجاءِ نفوسنا كلمات الرسالة الثانية إلى طيموتاوس: "أمّا أنت فاثبُتْ على ما تعلّمته وأيقنته، عارفًا ممّن تعلّمته، وأنّك منذ الطفولة تعرفُ الكتب المقدّسة القادرة أن تُصيّرك حكيمًا في سبيلِ الخلاص بالإيمان الّذي في المسيح يسوع. فالكتاب كلّه إنّما الله ألهمَه، وهو مفيدٌ للتعليم والتوبيخ والتقويم والتأديب في البرّ، ليكونَ رجلُ الله كاملاً، مُعَدًّا لكلّ عملٍ صالح" (٢طيم ٣: ١٤-١٧). وإنّ رسالة بطرس الأولى تُظهر ديمومة الكتاب المقدّس إزاء مرحليّة حياة الإنسان، إذ تقتبس من كتاب أشعيا النبيّ (أش ٤٠: ٦-٨) الآيتين التاليَتَين: "كلّ بشر كالعشب، وكلّ مجده كزهر العشب. العشب قد يبس والزهر قد سقط. أمّا كلمة الله فتبقى إلى الأبد" (١بط ١: ٢٤-٢٥).

إنّ الموقع المتقدّم للكتاب المقدّس في إيماننا، دفعنا إلى أن نُعلنَ هذه السنة (١١ تشرين الثاني ٢٠٢٣ — ١٠ تشرين الثاني ٢٠٢٤) سنةَ الكتاب المقدّس في رهبانيّتنا، حيث سيتسنّى لنا تنظيمُ أنشطة حول الكتاب المقدّس، فنقترب، جميعُنا، أكثرَ من الربّ.

من ناحية أخرى، بيّنَ الربُّ يسوعُ، كما ألهم أيضًا تلاميذَه كُتّابَ العهدِ الجديدِ فبيّنوا ذلك أيضًا في كتاباتهم، أنّ التعليم الصحيح هو في الكنيسة الّتي أعطى هُوَ لها سلطانَ الحلِّ والربطِ (متى ١٦: ١٨–٢٠؛ ١٨: ١٨)، والّتي جعلها "عمودَ الحقِّ وقاعدتَه" (١طيم ٣: ١٥).

من المفيد بمكان العودةُ إلى دستور الوحي الإلهيّ في المجمع الفاتيكانيّ الثاني الّذي يلخّص هذه المعطيات إذ يعلّم: "وبناء عليه، يتضّح أنّ التقليد المقدّس والكتاب المقدّس وسلطة الكنيسة التعليميّة، بتدبير إلهيّ كُلّيّ الحكمة، ترتبط ببعضها وتشترك في ما بينَها، إلى حدّ أنّ لا قيامَ للواحدِ منها دون الآخرَين، وانّها كلّها مجتمعة، وبحسب طريقة كلٍّ منها وبتأثير الروح الواحد، تساهم بصورة فعّالة في خَلاص النفوس" (الوحي الالهيّ، عدد ١٠).

٥. نتطرّق إلى هذه التعاليم هنا، لأنّ نداء الاِستغاثة "زدنا إيمانًا" موضوعٌ في إطارٍ يقود إليها. من ناحية أخرى، نحن نعود إليها لأنّها تذكير بتنشئتنا، أي أنّها تجديدٌ لتنشئتنا في يوميّاتنا. إنّها ثوابت لا تتعارض مع تنشيط التفكير حولها خصوصًا وحول الوجود عمومًا. إنّها ثوابت في أزمنة تتغيّر حكمًا. لكلّ زمن متغيّراتُه، ولكلّ حقبة سرعةٌ خاصة للمتغيّرات.

يتسارع في أيّامنا تطوّر التِقنيّات، خصوصًا مع العالم الإفتراضيّ والإنترنت، وبالأخصّ، مع تطوّر برامج الذكاء الإصطناعيّ وتطبيقاته، الّذي تيقّنّا حيثيّاتِ بِدايَتِه، ولكنَّ مخترعيه يُقِرّون بأنَّ لا معرفةَ أكيدة لخطِّ مسارِ تطوّره.

نحن نُماشي المتغيّرات، كما ماشاها كلُّ عصر، ونتجنّبُ الأصوليّةَ والتحجّرَ اللذَين يؤدّيان إلى خراب العقلِ والنفس. ولكن عندَ مفترقِ الطرقِ الّذي يضعنا فيه التأمّل في الأمورِ الحياتيّة وفي المتغيّرات، نحن نختار ٱتجاه الإيمان المُـتَّقِد، وَنُديرُ الظهرَ بذلك إلى ٱتجاه فقدان مِقدار حبّة الخردل من الإيمان. لذلك، نعودُ إلى هذه المسلّمات اللاهوتيّة، الّتي هي ثوابت.

لذلك، من الضروريّ أن نبقى، كرهبان، قريبين، جدًّا جدًّا، من الكتاب المقدّس، ومن الغذاء الكنسيّ والروحيّ، من خلال مطالعات وندوات ورياضات، ومن خِلال الإطّلاع الدائم على الوثائق الكنسيّة وعلى المسائلِ اللاهوتيّة والرعويّة الّتي تشغل العالم والكنيسة. نصرخ كذلك لأنَّ الربّ يريدنا أن نفكّر حولَ كلّ مَبدإ إيمانيّ، ولكن نلتزمُ أخيرًا بتعليم الكنيسة. يريدنا أن نفتّش عن الحقّ وعن معنى كلِّ تعليمٍ للكنيسة، ولكن نلتزم أخيرًا بتعليم الكنيسة.

نودّ هنا العودةَ إلى قوانيننا الّتي نقرأ فيها: "تتمثّل طاعةُ رهبانِنا التامّةُ للحبر الرومانيّ بالصلاة من أجله، وبالعمل الدؤوب بتوجيهاته، ولا سيّما منها تلك الخاصّةِ بالرهبان وبالحياة المكرّسة. فيعمل الرؤساء على توفير كلّ الوثائق الحبريّة الّتي تصدر في مناسبات مختلفة، ليتأمّل بها الرهبان، ويتغذّوا بها، لإنماء حياتهم الروحيّة" (مادة ٤، بند ٢). في أيّامنا، بوسع كلّ منّا الإطّلاع على الوثائق الكنسيّة عبر الإنترنت.

كذلك، نحن نقرأ في قوانيننا: "في جوّ من السكينة والصمت، نغذّي صلاتنا اليوميّة من الكتابِ المقدّس، كلمة الله، ومن كتابات الآباء ومن تعاليم الكنيسة وسيرِ القديسين" (مادة ٧٠).

في العودة إلى هذه الثوابتِ خلاصٌ، لأنّها تساعدنا على تحقيق لقاءٍ مباشر بالربّ يسوع، الّذي "لا خلاصَ بأحدٍ سواه، لأنّه لم يُعْطَ تحتَ السماءِ، بين الناسِ، ٱسم آخر، به ينبغي أن نخلص" (أع ٤: ١٢). العودة إلى الكتابَ المقدّس وإلى تعليم الكنيسة وسلطتها، تسمح للإنسان بالسير في الطريق الّذي يوصل إلى الخلاص، خصوصًا عندما تتملّقه ممارساتٌ هي بعيدة كلّ البعد عن إيماننا، مثل التفتيشِ عن الخلاصِ في أشخاص أو في مجموعات أو في معتقدات أو في أفعال مثل الرقيّات والعرافة والسحر الّتي عنها يتكلّم القديس بولس في رسالته إلى أهل غلاطية ويؤكّد أنّ الّذين يعملون مثل هذه الأعمال لن يرثوا ملكوت الله (غل ٥: ١٩-٢١). ويؤكّد سفرُ الأحبار أنّ اللحاق بالعرافة والسحر هو تحامل على الله القدّوسِ الّذي يُظهر كلَّ قساوته مع مرتكبي هذه الأخطاء (لا ١٩: ٣١؛ ٢٠: ٢٧).

نحن، نعيش في العالم ونتفاعل مع العالم بكلّ ٱنفتاح، ونحبّ الجميع ونحترم الجميع ونفهم الجميع، ونواكب التطوّر، ونحلّل الأفكار ونحاور فكريًّا ونقبل الآخر، ولكنّنا نفعل كلّ ذلك حاملين إيماننا في مواقفنا وأفكارنا وتحليلاتنا. نحن ٱخترنا موقعنا الإيمانيَّ "بين أرض وسما". إنّنا، إذ نعيش كلَّ ما نعيشُه وفق ما وصفنا في هذه السطور السابقة، يميلُ سَمْعُنا فقط إلى الكتابِ المقدّس وإلى تعليم الكنيسة، فهما نبع لقاءٍ بالربّ يسوع، مصدرِ خلاصِنا الوحيد. بذلك، نحن نلاقي التعليمَ الوارد في الرسالة الثانية إلى طيموتاوس "بشِّر بالكلمة، وداوِم على

ذلك في وقتِه وفي غير وقته، وبِّخ وأنِّب وعِظ، بكلِّ أناة وتعليم، لأنّه سيأتي وقتٌ لا يحتمِلُ فيه النّاسُ التعليمَ الصحيح، بل يكدّسونَ لأنفسهِم المعلّمين، وفق شهواتهم، واهتياجِ سمعهم، فيصرِفون سمعَهم عن الحقّ، ويميلون إلى الخرافات" (٢طيم ٤: ٢-٤). هكذا نحمل ثمرَ روحِ الله أي "المحبةَ والفرحَ والسلامَ والأناةَ واللطفَ والصلاحَ والأمانةَ والوداعةَ والعفاف" (غل ٥: ٢٢-٢٣). لذلك نصرخ: "زدنا إيمانًا".

٦. تضرّعُ التلاميذ "زدنا إيمانًا" أتى أيضًا بعد أن طلب يسوع منهم تحمُّلَ مسؤوليتهم في حياة الجماعة، من خلالِ التفاعل مع أخٍ خاطئ، لئلاّ تسودَ الخطيئةُ كمبدإ في الجماعة، ومن خلال رفع رايةِ الغفران عاليًا ودائمًا؛ لقد قال يسوع: "إن خطئ أخوك فأنّبه، وإن تاب فاغفر له. وإن خطئ إليك سبع مرّات في اليوم قائلا: أنا تائب، فاغفر له" (**لو ١٧: ٣-٤**). إنّ التلميذ الحقيقيّ هو الّذي ينخرط في عمل المجتمع، وهو الّذي يغفرُ بلا حدود. عندما يقترف التلميذ خطيئة أو يطلب الغفران، فالتلاميذ الآخرون معنيّون بما يجري. هؤلاء، التلاميذ الآخرون، يتحمّلون مسؤولية في طريقة التصرّف تجاه عمل أيّ تلميذ. من هنا، إنَّ طلبَ يسوع واضحٌ في أن تتحمّلَ الجماعةُ مسؤوليّةَ البرّ فيها. هكذا تتمّ شريعةُ المسيح، مثلَما يعلّمنا القدّيس بولس في رسالته إلى أهل غلاطية: "أيها الإخوة، إن أُخِذ إنسان بزلّة، فأصلحوه أنتم الروحيّين، بروح رِفقٍ وتيقُّظٍ لئلاّ تُمتَحَنَ أنتَ أيضا. إحملوا بعضكم أثقال بعض، وهكذا أَتمّوا شريعة المسيح" (غل ٦: ١-٢؛ راجع أيضًا ١تس ٥: ١٤-١٥؛ ٢تس ٣: ١٤-١٥؛ طي ٣: ١٠).

إذًا، إنّ طلبَ يسوع هذا في ١٧: ٣-٤، يدلّ أنّه يريد حضورًا ديناميكيًّا في الجماعة، ومسؤوليّةً من قبل الجميع، خصوصًا في ما يتعلّق بالبرّ.

٧. هنا أيضًا، وتلبيةً لتوجيهات الربّ يسوع، نطلب زيادةَ إيماننا من أجل ديناميكيّة في المساهمة في صونِ الجماعة، صونِ الحياة الرهبانيّة في أديارِنا وفي رهبانيّتنا. إنّ صونَ الجماعة هو تأمينُ جوّ برّ وقداسة لكلّ أحد. من هنا، واجبُ كلِّ مُنْتَم إلى الجماعة تأمينُ هذا الجوّ وعدمُ الابقاء على أيِّ أمرٍ أو أيّ تصرّفٍ قد يصبحُ مُزمنًا ويؤدّي إلى الإخلال العميق والخطرِ بالانتِظام العامّ في الجماعة. صحيح أنّ المسؤوليّة الأولى تقع، بالأَخَصّ، على المسؤول في الجماعة، ولكنّه صحيح أيضًا، أنّنا، نحن، جميعَنا، مسؤولون عن تأمين الانتظام العامّ في كلّ دير، وفي الرهبانيّة، خصوصًا من خلالِ رأيٍ عامٍّ واسعٍ يفرض على الجميع البقاءَ في أرجاءِ مَنطِقِ الرهبانيّة. إنَّ هَمَّ صونِ الجماعة، من خلالِ عدمِ السماحِ بأخطاءٍ علنيّة فيها، هو في الوقت عينه، همُّ صونِ كلِّ إنسان، وهو تعبيرٌ عن محبّة كلّ إنسان. إنّ الانتباهَ إلى الانتظام العامّ لا يعني الاكتراثَ فقط لأحوالِ الجماعة وعدمَ الاكتراثِ إلى قداسةِ كلّ أحدٍ منّا، بل هو توفيرُ جوّ مُؤاتٍ لكلّ أحد، ليعيش مبادئ القداسة وفق ما تنشّأنا في الرهبانيّة، ولعيش متطلّبات الحياة الرهبانيّة. احترام قوانين الرهبانيّة والآليّات المعتمدة، والسلطات المتنوّعة فيها، وفق قوانينها وعاداتها، مفيد لجميعنا، للبرّ فيها، ولصورتها لدى الجميع.

التغاضي عن إهمال القيم والالتزامات والقوانين بشكل فاضح هو نوع مِنَ المشاركة في هذا الإهمال. إنّ العيش معًا، وفق مقتضياتِ

حالتنا يُبعِدُ عنّا ٱنتقاد صاحب الأمثال حين كتب: "اَلذين يُهملون الشريعة يحمَدون الشرير" (مثل ٢٨: ٤). وبعيشنا الجيّد نكون مُصغينَ إلى قول يشوعَ بن سيراخ: "اَلرجل الحكيم لا يبغض الشريعة أمّا الّذي يرائي فيها فهو كسفينة في العاصفة" (سي ٣٣: ٢).

وَاستطرادًا، نعتبر أنّ الديناميكيّة في المساهمة في صون الجماعة، تعني أيضًا توطيدَ العمل في كلّ دير ومركز ومؤسّسة، وَاستنباطَ آليّات جديدة حيث يجب، وذلك في جميع قطاعات الرهبانيّة، الروحيّة منها والديريّة والرساليّة والرسوليّة والرعائيّة، والاقتصاديّة والتربويّة والجامعيّة والاستشفائيّة والاجتماعيّة، والتراثيّة والفنيّة، وكلِّ ناحية من نواحي رسالة الرهبانيّة. هذا يعني أيضًا توطيدَ حوكمةٍ رشيدة تعزّز رسالة الرهبانيّة في مختلِف جوانبها.

مِنَ النقاط السلبيّة المنتشرة في مجتمعنا اللبنانيّ والّتي تؤثّر بالطبع على أبناء بيئته، أي علينا أيضًا، هي الخمولُ الإداريّ وصعوبةُ التغيير وعدمُ الجرأة في التَخطيط بعيدًا وعدمُ القدرةِ على التنفيذ بإتقان، وتفضيلُ إرضاء الأشخاص على خير المجتمع، وفوق كلّ ذلك "المعليشيّة". من هنا، ضرورة تحفيز ديناميكيّة الإدارة وشفافيّتها، والإستفادةِ منها. من هنا أيضًا، ضرورة "الفرفحةِ" الإداريّة. علينا حفظُ القوانين وتوطيدُ الآليّات وتطويرُها حيث يلزم، وتطبيقُها، بعدالة، على الجميع. في بدايات رهبانيّتنا، شهد المؤسّسونَ لروحيّة نشاط إداريّ في التنظيم والترتيب ووضع القوانينِ لأنَّ أحدهم، أي عبد الله قراعلي، ٱعتبر نوعيّة الحياة الرهبانيّة الّتي عاينها حينها، قبل تأسيس رهبانيّتنا، "صالحة للصالحين وطالحة للطالحين"، فأراد، مع بقيّة المؤسّسين، تنظيمَها كما فعلوا.

في هذا الإطار بالذات، نصل إلى مفهوم "الغفران" الّذي يعتبره يسوع واجبًا على كلّ تلميذ. إنّ أيّ تدبيرٍ أو أيّ تأنيبٍ، من أخٍ أو من مسؤول، يجبُ أن يترافق بالمحبّةِ أي بالغفران. إنّ التأنيبَ أو التدبيرَ التأديبيَّ ضروريٌّ في كلّ مجتمعٍ عمومًا، وفي الجماعاتِ المسيحيّة، خصوصًا. ولكي يكونَ هذا النوع من التدبير مَسيحيّا، يجب أن يَتِمَّ بالمحبّة. إنّ عدمَ القيام بتدبيرٍ تأديبيٍّ حيالَ شخصٍ أو أكثر حيث يلزم، يشكّل قلّةَ محبّةٍ تجاه المُخطئِ وتجاه عَشَراتٍ أو مئاتٍ أو آلافٍ منَ الأشخاصِ الّذين تطالُهم رسالَة الرهبانيّة أو المؤسّسة، بشكل أو بآخر، والّذين يتضرّرون جدًّا إذا كان المُخطِئ يؤدّي عمله بشكل سَيّئ. ولكنّ الغفران هو مبدأ أساسيّ عند التوبة، والغفران لا يتعارض مع التأديب. هذا ما يعكس طراوةَ القلبِ من خلال محبّة كلّ أحد، وخصوصًا الخاطئ والضعيف. هذه الروحيّة، روحيّةُ صون الجماعة مع محبّةِ الخاطئ والغفرانِ له، ليسَت بالأمرِ السهل، بل إنّنا بحاجة إلى أن نصرخ: "زدنا إيمانًا"، لكي نرى بعيونِ الإيمان غفرانَ اللهِ الدائمَ لنا، والّذي هو بلا حدود، فيصبحَ غفرانُنا ممكنًا ولو بدا صَعبًا أو مستحيلًا. مع الإيمان، يصبح المستحيل ممكنًا. هذا أيضًا من فحوى تَعليم يسوعَ في جوابه على طلب التلاميذ (لو ٧: ٥-٦).

إنّ أَحَدَ تجلّيات هَمِّ صَونِ الجماعة، هوَ في ٱشتراك الجميع في التفكير حول أمورها. هذه هي الروح السينودسيّة في رهبانيّتنا والّتي تتجلّى مظاهرُها في المجمع الديريِّ ومجمع الرئاسة العامّةِ والمجمع العامّ. وإنَّ هذه السنةَ تُطبَعُ بانعقادِ المجمع العامّ فيها، إن شاء الله، وفق ما تنصّ قوانيننا، وكما كنّا سابقًا، في عدّة مناسبات، أعلَنّا عن ورشةِ التحضير له. وتتجلّى الروحُ السينودسيّة أيضًا بِٱعتماد الرهبانيّة على

علمانيّين في تأدية رسالتها، حيثما تدعو الحاجة. في هذا الإطار، نودّ أن نذكّر بضرورة عقد مجمع ديريّ شهريّ، وإشراكِ رهبانِ الدير في جميعِ أمور الدير وشؤونه.

خلاصةُ القول لما سبق في هذه النقطة هيَ أنّ دعوة يسوع إلى التأنيب عند الخطأ، هي علامةُ محبّة منه للفرد وللجماعة في آنٍ معًا. لا ننسينَّ أنّه المحبّة المطلقة. لا شكّ في أنّ كلاًّ مِنّا خاطئ، كلاًّ منّا. كلام القدّيس بولس في رسالته إلى أهل روما جليّ، إذ يكتب: "اَلجميع ... هم تحت الخطيئة، كما هو مكتوب: ليس بارّ ولا واحد" (روم ٣: ٩-١٠). إنّما البرارة هي في يسوع. هذا ما يدفعُنا إلى فهم كلّ إنسان، وإلى فهم ذاتِ كلٍّ منّا، وإلى الغفران عندما يُخطئ الآخرُ بشكل مطلق، أو يُخَطئ إلينا: "كما نحن نغفرُ لمن خَطئ إلينا". في الوقت عينه، صونُ الجماعة وٱنتظامها ضروريّان من أجل توفير الجوّ الملائم لكلِّ جهدٍ فرديّ ولكلِّ جوابٍ على نعمة الربّ. من هنا، ضرورةُ عدمِ اَلسماح للخطيئة بأن تتحكّمَ في الجماعة وتصيرَ قاعدةَ حياةٍ فيهاَ. إنّ الخطيئةَ تعصفُ بالحالةِ البشريّة، والتوبةَ ضروريّةٌ لمداواتها. فلا نَنْصُبَنَّ لِلخطيئةِ خيمةً في قلوبنا ليعتريَها الفساد الّذي سوف نتكلّم عنه لاحقًا في هذه الرسالة. يقول قداسة البابا فرنسيس في التبشير الملائكيّ في ١ تشرين الاول ٢٠٢٣: "خطأة نعم. فاسدون لا".

٨. وبعد صرخة "زدنا إيمانًا" وجوابِ يسوع عليها (لو ١٧: ٥-٦)، يَروي الربُّ مَثَلَ العبد الّذي لا يُشْكَرُ لأنّه أتمَّ عملَهُ الواجبَ عليه (**لو ١٧: ٧-٩**)، وَيُنهي المثلَ بطلبٍ إلى التلاميذ: "وهكذا أنتم إذا ما فعلتم كلَّ ما أُمِرتُم به فقولوا: إنّنا عبيدٌ لا نَفعَ منّا، فقد فَعَلنا ما كان يجبُ عَلينا أن نَفعل" (**لو ١٧: ١٠**). إذا كان الربُّ يسوع يعتمد

في هذا المَثَلِ على عاداتِ تلك الحقبة، فهذا لا يعني أَنّه يكرِّسُها، بل هو يستعمِلُ الإطارَ الاِجتماعيَّ في ذلك الزمان لإفهامِ قارئِ كلِّ زمانٍ أنَّ التلميذَ الحقيقيَّ هو الّذي يشعُرُ ذاتَه خادمًا في بيت الربّ، بشكلٍ مجانيّ ومن دونِ أيّ تمنين. لا يقلّلُ الربُّ من قيمةِ الخدمة، فإنّه هو القائلُ عَن نفسِه: "اِبن الإنسان أيضًا لم يأتِ ليُخدَمَ، بل ليَخدُمَ، ويَبذُلَ نفسَه فِداءً عن كثيرين" (مر ١٠: ٤٣).

إنّ هذا المَثَلَ، مَع إرشاد يسوع في نهايته، يُبيّنُ هويّةَ التلميذِ الحقيقيّ. وهذا المَثَلُ، في الوقت عينه، يُبيّنُ مَن هُم عكسُ ذلك. كما شَرَحْنا سابقًا، إنّ هذا المثلَ يُنهي كلامًا ليسوعَ وتَفاعلاً لَه مع التلاميذ ومع الفرّيسيّين والكتبة، بَدأ في لو ١٥: ١. فيه رأينا يسوعَ يشجب، بتصرّفِه وأمثالِه، تذمّر الفرّيسيّين مِن استقبالِه العشّارينَ والخطأة (لو ١٥: ١-٢). وفيه رأينا يسوعَ يبكّتُ الفرّيسيّين على سوءِ سماعِهم له وللكتاب المقدّس، وعلى تعاملِهم مع الخيور المادّيّة، فهو قال لهم، إذ كانوا يسمعونه ويتهكّمون عليه: "أنتم تتظاهرون بالبرّ أمامَ الناس، ولكنّ الله يعرف قلوبكم؛ لأنّ الرّفيع عندَ الناسِ هو رجاسَةٌ أمام الله" (لو ١٦: ١٥).

هؤلاء هم الفرّيسيّون الّذين يصفهم يسوع جيّدًا، وهو يُبيّنُ التلميذ الحقيقيَّ في تناقضٍ تامّ مع تحجّرهم وتعلّقهم بالمال والسلطة والجاهِ ورذلِهم لِلآخر، ولاسيّما الخاطئ، لِاعتبارِ أنفسهم أفضل من الآخرين. إنّ الخطوطَ العريضةَ الّتي عَلَّمها الربُّ في الفَصلَين ١٥ و ١٦ من إنجيل القدّيس لوقا، نراها ترتسم، بطريقة ملخّصة، في الفقرةِ الّتي تتضمّنُ صرخةَ التلاميذ: "زِدنا إيمانًا" (لو ١٧: ١-١٠).

إذًا، بعد صرخة التلاميذ: "زِدنا إيمانًا"، وبعدَ جوابِ يسوعَ عن الإيمان، ها هو يضربُ مثلاً عَنِ الخادم العامِلِ ليُبَيِّنَ من هو التلميذُ الحقيقيُّ، وَلينتَقِدَ، بشكل غيرِ مباشر، الفرّيسيّينَ الّذين يُجسّدون التعليمَ وَالتصرّفَ الضّالَيْن. بعدَ الحديث عن الإيمان، أَتى الحديثُ عَنِ العملِ، العملِ بتجرّدٍ ومجانيّةٍ أمام الله.

٩. مرّة جديدةً، نَسكبُ ذواتنا أمامَ الربّ يسوع، لأنّ كلامه ينفذُ إلى قلوبنا، فنبدأ قراءةَ واقعنا على ضوئه. ونعلم أنّه علينا تنشئَةُ ذواتِنا، على الدوام، على ما يعلّمُنا إيّاه، فنصرخ: "زِدنا إيمانًا". نحن، جماعةً وأفرادًا في الرهبانية اللبنانية المارونية، نتوق إلى التعبير عن إيماننا بالعمل في الرهبانيّة، وإلى تفعيل ما تيقّنّاه منذ تنشئتنا الأولى، في ما خصّ مجانيّةَ حضورنا وعملنا في الرهبانيّة وفعاليّتهما، وإلى ضرورة القول: "إنّنا عبيدٌ لا نفعَ منّا، فقد فعَلنا ما كان يجبُ علينا أن نفعل" (لو ١٧: ١٠). موقفنا هذا يعكس بذلك هويّتَنا الحقيقيّة، إذ نكون متشبّهين بالتلاميذ الحقيقيّين ونابذين عنّا صورةَ الفَرّيسيين، كما يصفُها لنا الإنجيل.

وَاستنادًا إلى ما أبرزَ يسوعُ من صورةِ التلميذِ الحقيقيّ قبالة الفرّيسيّين، نعلن، نحن، كرهبانٍ، سعيَنا إلى القداسة الّتي تتنافى مع الدنيويّة. يتطرّق قداسة البابا فرنسيس مرارًا إلى مفهوم "الدنيويّة الروحيّة" لينبّه من خطرِها الكبير، وهي أوّلًا صفة الفرّيسيّ الّتي لا نريدُها والّتي تُنافي الإيمان. يحدّد قداستُه هذا المفهومَ في الإرشاد الرسوليّ "فرح الإنجيل" الّذي هو أوّلُ إرشادٍ رسوليّ له: "الدنيويّة الروحيّة الّتي تختبئ وراءَ مظاهِرِ تديّنٍ أو حتّى حُبّ الكنيسة، تقوم على البحثِ عن المجدِ البشريّ والرَفاهيّةِ الشخصيّة، بدلاً من مجدِ الربّ. وهذا ما كان الربّ يؤنّبُ الفرّيسيّين عليه: 'كيف لكم أن تؤمنوا وأنتم تَطلبون المجدَ

بعضُكم من بعض، ولا تطلبونَ المجدَ الّذي من عند الله دون غيره' (يو ٥: ٤٤). وهكذا، بالحيلة، يُبحث عن 'ما هو لأنفسهم، لا ما هو للمسيح يسوع' (فل ٢: ٢١). الدنيويّة الروحيّة تتلبّس عدّة أشكال، وفق نمط الشخص والظروف حيث تتغلغل. وبما أنّها مرتبطةٌ بِٱلتماس المظهر، فلا ترافقها دائمًا خَطايا علنيّة، بل يبدو، ظاهريًّا، كلُّ شيءٍ قويمًا لائقًا. لكن اذا اجتاحت الدنيويّةُ الروحيّةُ الكنيسةَ، 'فَلَسوفَ توقِعُ الكوارث الأكثرَ هولًا، متجاوزَةً أيّ دنيويّة سلوكيّة بحتَة'" (عدد ٩٣).

كما أعطى قداسة البابا فرنسيس لكتاب أصدره، باللغة الإيطاليّة، منذ ثلاثة أشهر العنوان التالي: "قدّيسون، لا دُنيويّون". في هذا الكتاب، يتطرّق قداستُه مجدّدًا إلى مفهوم "الدنيويّة الروحيّة" الّتي تقود إلى الفسادِ الداخليّ الّذي يمكن أن يتحكّم بالمسيحيّ عمومًا، والمكرّس خُصوصًا. يربط قداستُه هذا الفسادَ الداخليَّ بعدمِ قدرةِ القَلبِ على التجدّد، بِكَرمٍ وبمثابرةٍ من أجل الخير، وبلا ملل. حينها، لا سمحَ الله، يرضى المكرَّسُ بالحالةِ الّتي هو فيها، فيضحي في نتانةٍ روحيّة، حتّى لو أظهر كلَّ مَظاهر الدين. في رسالتِه إلى كهنة أبرشيّة روما، في ٥ آب ٢٠٢٣، الّتي يوردها أيضًا في الكتاب ذاته، يعود قداسةُ البابا فيؤكّدُ أنّ الدنيويّةَ الروحيّةَ خطرةٌ جدًّا لأنّها طريقةُ عيشٍ تُحَجّمُ الحياةَ الروحيّة، وتجعلُها فقط مَظهرًا خارجيًّا. في تلك الرسالة يكتب: "إنّ ذلكَ يحدثُ عندما نسمحُ لأنفُسِنا أن نُؤخَذَ باغراءاتِ ما هو عابر، بالسوءِ والرتابة، وبتجاربِ السلطةِ وبالتأثيرِ الِاجتماعيّ وبالمجد الباطل وبالنرجسيّة".

إنّ الّذين يعيشون الدنيويّة الروحيّة هم مسبّبو شكوك، مثلَ الفريسيين، وعليهم ينطبقُ تعليمُ يسوعَ الّذي تأمَّلنا فيه سابقًا.

يقول قداستُه في مقدّمة هذا الكتاب: "ليست القداسةُ حالةَ طوبى يبلغها الإنسانُ مرّة واحدة. هي الرغبة المتواصلة الّتي لا تعرفُ الكللَ في البقاء مُلتَصقين بصليبِ المسيح، مطبوعينَ بشكل كامل بالمنطق الآتي من عَطاء الذات، كما من مُقاومةِ العدوّ الّذي يُغرينا إذ يُقَطِّرُ فينا قناعةَ اكتفائِنا الذاتيّ". وقد عاد قداسته فتكلّمَ على الجهد الروحيّ عند المسيحيّ، في المقابلة العامّة، منذ ثلاثة أيّام، في ٣ كانون الثاني ٢٠٢٤: "حياةُ المسيحي الرّوحيّة ليست كلُّها حياةَ سلام، على خطٍّ مستقيم، ولا خاليةً من التّحدّيات، بل عكس ذلك، تتطلّب جِهادًا مُستمِرًّا، من أجل الحفاظِ على الإيمانِ وإغناءِ عطايا الإيمانِ فينا".

ممّا تقدّم عن تعليم الإنجيل حول التلميذ الحقيقيّ، وحول الفرّيسيّين، وممّا تقدّم عن تعاليم قداسته، ولاسيّما ما يتعلّق بالدنيويّة الروحيّة وبالفَساد الداخليّ، نرانا مدفوعينَ، خصوصًا كرهبان، إلى الصراخ تجاهَ الربّ يسوع: "زدنا إيمانًا"، لكي تكونَ لنا جرأةُ التجدّد، على الدوام، مُنَشّئين ذواتنا على تهوئة القلبِ من أيّ فَسادٍ داخليّ.

نسأل الربَّ يسوع أن يساعدَ كلاًّ مِنّا على التجدّد، وعلى نبذ فكرة "المعلَيشيّة"، أو فكرةِ "عدمِ القدرة على التغييرِ نحو الأفضل"، كما يتمّ عندَ بعض الناسِ الّذين لا يجرؤون على التغيير في مجتمع ما، ويَعزونَ عدمَ جرأتِهم إلى أنّ إخفاقات المجتمع في التغيير جعلت الكلَّ يعتادُ على الِاستنقاعِ، فما نفعُ محاولةٍ جديدةٍ في هذا الصدد؟

إنّ ٱستعدادنا الدائم للتغيير نحو الأفضل، هو أحد مقاييس التلمذة الحقيقيّة للمسيح ولِاتّباعه وَالِاقتداءِ به. يقول قداسة البابا فرنسيس في عظةِ قداس ليلة عيد الميلاد ٢٠٢٣: "هو، الّذي صار بَشرًا، لا ينتظر إنجازاتِك ولا نجاحَك، بل قلبَكَ المنفتِحَ والواثق" (عظة ليلة عيد الميلاد، ٢٤ كانون الأوّل ٢٠٢٣). إنّ الإيمان الثابتَ بالله هو الّذي يُنجّي من السَأَم والإحباط ويضمن الِانفتاح والثقةَ في القلبِ، والقوّةَ في الإرادة، والجرأةَ في إحداث تغيير يؤول إلى خير الإنسان. علينا أن نعمل من أجل الأفضل ومن أجل الخير ومن أجل الخلاص، وعلينا ألاّ نملَّ العمل والمثابرة، لأنّ الله هنا، معنا، لا ينظر إلى نتائج عملِنا، بل إلى القلبِ والى النيّةِ وإلى الإرادة الّتي دفعت إلى تحقيق العمل. إنّه سيّد التاريخ، فنتائجُ عملِنا تحت نظره. هو يعرف ما هو للخير.

تصدح في البال، في هذا الصدد، الكلماتُ الرائعةُ الّتي خطّها البابا الراحل بندكتوس السادس عشر، رحمه الله، إذ علّم عن ضرورة العمل قدر المستطاع، كُلٌّ بالقوّة الّتي يملكها، مع ضرورة تسليم كلّ شيء إلى يدي الله، ذاكرًا الآية الّتي نتأمّل فيها الآن (لو ١٧: ١٠):

"على من يستطيعُ المساعدةَ الِاعترافُ أنّه، بفعلِ مساعدَته الآخرين، يتلقّى هو ذاتُه المساعدة. قدرة المساعدةِ لديه ليسَت مدعاةَ ٱستحقاق ولا هي سببُ فخر. هذا الواجب هو نعمة. بقدرِ ما يَسْكُبُ واحدٌ الذاتَ من أجلِ الآخرين، بالقدر ذاتِه يفهمُ كلمةَ المسيح ويتبنّاها: 'نحنُ عبيدٌ لا نفَعَ منّا' (لو ١٧: ١٠). هو يعترفُ أنّه يتصرّفُ ليسَ بحُكم مركزِه الأعلى ولا قدرتِه الشخصيّة، بل لأنّ الربَّ يُعطيه النعمةَ لفِعلِ ذلك. أحيانًا، فيضُ الحاجة وحدودُ عملِه قد يعرّضانه لتجربة الإحباط. ولكنّ ما سيساعدُه حينها هو معرفةُ أنّه، حَقًّا، ليس إلاّ أداةً في يَدَيِ الربّ. حينها، سوف يتحرَّر من الِادّعاء أنّ عليه، شخصيًّا

ووحيدًا، تحقيقَ التَحسينِ الضروريِّ للعالم. بكلّ تواضع، سوف يعملُ ما يستطيع عملَه، وبتواضع، سوفَ يَكِلُ الباقيَ إلى الربّ. إنّ الله هو الّذي يحكم العالم، وليس نحن. نحن، نُهديهِ فقط خدماتِنا، قدرَ ما نستطيع، وبقدرِ ما يعطينا هوَ القوّة. ولكنَّ عملَ ما هو بالمستطاع، وبالقوّة الّتي نملكها، هُو المسؤوليّةُ الّتي تُبقي الخادِمَ الصالحَ ليسوعَ المسيح دومًا في حركة: إنّ محبةَ المسيحِ تحرّكُنا (٢قو ٥: ١٤)" (رسالة "الله مَحبّة"، عدد ٣٥).

وَالتغيير الشخصيّ يقود، حُكمًا إلى تغييرٍ مجتمعيّ. إنّ التلمذةَ الحقيقيّةَ للمسيح تجعلُنا مشاركين في كلّ ورشةِ تغييرٍ نحو الأفضل، فلا نقفُ موقفَ المتفرّجين ولا المعرقلين خوفًا من تغييرٍ ما ٱعتادتهُ قلوبنا فٱطمأَنَّت، بل إنّنا ندخل هذه الورشةَ غيرَ آبهينَ إلاّ بمن ينظرُ إلينا من عَلُ، مِن السماء، إذ نحنُ على الأرضِ نحاولُ إتمامَ مشيئَتِه، أي زيادةَ الخيرِ على الأرض، وخلاصَ كُلِّ إنسان وضعَه الله على دربنا، وكلَّ مجتمعٍ فيه نوجد وفيه نتحمّل مسؤوليّةً معيّنة.

نحن نريد أن نتجدّد، مثلما أعرب التلاميذُ عن رغبتهم في التجدّد في الإيمان عندما قالوا: "زدنا إيمانًا". التلميذُ الحقيقيّ هو عكسُ الفريّسيّ المتحجّر. لذا، من واجبِ تلميذِ المسيحِ أن يتجدّد.

فلنسمعْ أيضًا قداسة البابا فرنسيس يقول لنا في هذا الصدد: "اَلله لا يكفُّ عن أن يعطيَنا إشاراتٍ تدعونا إلى تنمية رؤية متجدّدة للحياة المكرّسة. لا يمكننا أن نتظاهر بعدم رؤيتها ونستمرَّ كما لو أنّ شيئًا لم يحدث، فنكرّرَ الأشياء المعتادة، ونجرَّ أنفسَنا في الخمول وفي طرق الماضي، مشلولين بخوف التغيير. لقد قلت ذلك عدّة مرات: اَليومَ، تجربةُ أن نعودَ إلى الوراءِ، بِدافع الأمانِ، ومن الخوفِ، للحفاظِ على

الإيمان، وللحفاظِ على موهبَةِ المؤسّسِ ... هي تجربة. اَلتجربةُ أن نعودَ إلى الوراءِ وأن نُحافظَ على التقاليدِ بتصَلُّب. لنضعْ ذلك في عقلِنا: التصلّبُ ٱنحراف. وراءَ كلِّ تصلّبٍ يوجد مشاكلُ خطيرة" (عظة يوم الحياة المكرّسة، ٢ شباط ٢٠٢٢).

إذًا إنّ التجدّدَ والتغييرَ ضروريّان، ولكنّهما لا يعنيان أبدًا ضربَ التَقليد ونبذَه. بل إنّهما، أي التجدّد والتغيير، عَملان نبويّان يجعلانِنا نواصل التقليد في واقعنا، كما يجب. يتغيّر الواقعُ بين يومٍ وآخر، بل بين دقيقةٍ وأخرى، وعلينا، كرهبانٍ أنبياء، أن نتجدّدَ ونجدّدَ، بأمانةٍ كامِلَةٍ لتَقْليدنا وَلِقوانيننا، لكي نُتِمَّ إرادةَ الربّ.

نحن في الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة، عائلة. وإنّها عائلةٌ ذاتُ طابعٍ خاصّ، إذ هي روحيّة وهي مجتمعيّة، في آنٍ معًا، أي إنّها عائلة روحيّةً تحملُ مسؤوليّةً مجتمعيّةً كبيرة. إنّها عائلةٌ ذاتُ رسالةٍ مقدّسة. فمحبّة العائلةِ هي أيضًا محبّةُ رسالتِها. لقد جمعَ يسوعُ العائلةَ البشريّةَ بصليبه وبتدبيره الّذي فيه التعليمُ الصحيحُ وترسيمُ الأطرِ السليمةِ والغفرانُ والدعوةُ إلى العملِ المتجرّدِ في الجماعة، وفق تكوينِها. اَلفرّيسيّون، تحتَ مظهرِ الدينِ، أرادوا التفرقَةَ المتطرّفة. من هنا، نحمدُ الربَّ أنّ روحيّةَ ٱحترامِ رسالَة العائلة، من خلال ٱحترام قوانينها وأديارِها ومؤسّساتها وأنظمَة هذه الأخيرة، تتعمّق في الرهبانيّة، فتنمو، بذلك، النظرةُ الصحيحة إلى ماهيّةِ الأديار والمؤسّسات وإلى رسالتها.

هذا الوعيُ الرساليُّ ينمو بفضل روحيّة الجميع وليس عن طريقِ أمورٍ يفرِضُها أيُّ مسؤول. إنّ وعيَنا الجماعيَّ لواقعِنا كعائلةٍ ذاتِ رسالةٍ روحيّةٍ ومجتمعيّةٍ مُهِمَّةٍ هو الّذي يسمحُ بتأديةِ هذه الرسالةِ كما يجب. لذا، إنَّ هذا الوعيَ الرساليَّ هو عملُ جميعِنا من أجلِ خيرٍ أكبر.

١٠. عبّرَ التلاميذ عن طلبِهم: "زدنا إيمانًا"، في خضمّ الرحلة صوب أورشليم (لو ٩: ٥١؛ ١٣: ٢٢). ومباشرةً بعد الفقرة الّتي تأمّلنا فيها، يخبرنا الإنجيليّ أنّهم تابعوا، جميعُهم، السيرَ نحو أورشليم (**لو ١٧: ١١**). إنّها الدربُ الموصِلةُ إلى مدينةِ الآلام والموتِ والقيامة. اَلتلميذ الحقيقيّ هو من يتبع يسوعَ حتّى تلك النقطة. هناك خان يهوذا يسوع. هناك هرب الرسلُ خوفًا. هناك أنكر بطرسُ الربَّ. ذهبوا جَميعُهم. تركوا المعلّمَ والربَّ. ولكنّ يسوعَ كان قد وعدَهُم بأنّه سوفَ يعودُ فيجمعُهم، وهو حقَّقَ وعدَهُ. فكما ٱنطلقوا مع يسوع من الجليل (مر ١: ١٦-٢٠)، لكنّهم تفرّقوا في أورشليم بسبب الضيق، هكذا عادوا فَٱجتمعوا وٱلتَقَوا بالربِّ القائم من الموت في الجليل (مر ١٦: ٧)، وٱنطلقوا مجدّدًا ... وتتواصل المسيرة.

١١. إنّ المؤمنَ هو تلميذٌ حقيقيٌّ ليسوع، إذا سلك الدربَ معه، حتَى الصليب والموت والقيامة. هذا يعني أيضًا ما بيّنّاه سابقًا، أي ألاّ يقيسَ الإنسان نجاحَه على ضوءِ تحقيقِ الإنجازاتِ وتعدادِ المآثر والبطولات، بل على السير مع الربّ. ليست هذه النظرةُ ٱنهزاميّةً حياتيّةً أو سلبيّةً تجاه إنجازاتٍ ونجاحاتٍ في الحياة، إذ إنّ الربَّ نفسَه يَروي مَثَلَ الوزناتِ والمتاجرةِ بها، في إطارِ أورشليمَ بالذات (متى ٢٥: ١٤-٣٠)، ممّا يعني أنّه يريد لِلإنسانِ أنْ يتاجرَ بالوزناتِ الّتي أعطاهُ إيّاها. يُريدُ الربُّ أن يفرحَ الإنسانُ بما نسمّيه، في مجتمعنا الأرضيّ، الإنجازاتِ والظهورَ والخيورَ المادّيّة والمراكزَ الإجتماعيّة، إذ إنّ جميعَها نِعَمٌ ووزناتٌ خيّرةٌ، من عند الربّ. بين مَن أُنْعِمَ عليهم بهذه النِعَم والوزنات ناجحون، وبينهم غيرُ الناجحين. وبين من لم يَحظَوا بهذه اَلنِعَم والوزنات ناجحون، وبينهم غيرُ الناجحين. مقياسُ النجاح هو في اَلبَقاءِ مع الله، الناجحِ الأكبر

والدائم، حتّى ولو عِشنا في حياتِنا آلامًا وأنواعًا متعدّدة من الموت. اَلبقاء مع يسوعَ هو النجاحُ، أَمَعروفًا كان الإنسانُ في المجتمعِ وَمحقِّقًا البطولات أَو غيرَ معروفٍ. اَلنجاحُ هو البقاءُ مع الربّ وهو زرعُ الخيرِ والطيبةِ والمحبّة، كَما فعل هو، غَيرَ عابئينَ كيفَ يَبدو ظاهر الأمور، بل يبقى كيانُنا مع الربّ، بِكلِّ إيمانٍ وبكلّ مثابرةٍ وبكلِّ صلابةٍ داخليّة. لِتكُن مشيئتُه.

إذ تأمّلنا في موضوع إزدياد الإيمان من خلال التنشئة المستمرّة على البقاء مع الربّ، حتّى الآلام والموت والقيامة، نحمل كُلَّ تأمّلاتِنا إلى واقعنا، لنُجدّدَ صلاتَنا من أجلِ السلامِ في لبنانَ والعالم، في هذه الظروفِ العصيبةِ والحقبةِ المظلمةِ من التاريخ. ونؤكّدُ، في رهبانيّتنا، على ضوءِ كلّ تأمّلاتنا، وفي خطّ تاريخنا، على تفاعلٍ حِسّيّ مع شعبِنا. إنّنا ندعوكم، أيّها الآباءُ الأحبّاء والإخوة الأعِزّاء، إلى الصلاة وإلى الحنوِّ على الضعيفِ والفقيرِ في مجتمعنا، وفقَ روحانيّتِنا وقوانينِنا وعاداتِنا. إنّ الفقراءَ هم "حرّاسُ بابِ السماء".

١٢. فيما نتمشّى على دروبِ الوجود، ينسحبُ الفكرُ إلى ما فوقَ الوجودِ الأرضيّ، ويحنُّ القلبُ إلى عالم الأنوارِ الإلهيّة، تلك الأنوارِ الّتي ننعمُ ببعضِ أقباسِها، والّتي ننشدُّ إليها بشكلٍ خاصٍّ في هذه الفترة، معَ نجم الميلادِ وضياءِ الدنحِ وكوكَبِ البريّة.

ولكي نتأمّلَ جيّدًا في حقيقةِ تلك الأنوار، نلجأُ الى شفاعةِ أمِّنا مريمَ العذراء الّتي حملتِ النورَ في حشاها والّتي كانت تتأمّل كلَّ الأمورِ في قلبها (لو ٢: ١٩. ٥١).

ومنِ ٱنعكاسات تلك الأنوارِ الإلهيّةِ على أرضِنا، الأنوارُ الّتي ضاءت على قبرِ مار شربل بُعَيدَ موته، فنستعينُ بشفاعتِه وشفاعةِ قدّيسي رهبانيّتنا الآخَرين: رفقا، ونعمة الله والطوباويّ إسطفان.

نستعين بهذهِ الشفاعة في نزهتِنا على دروبِ الوجود، إذ نمشي، والبسماتُ مِلءَ الشفاهِ، والقلوبُ منشرحةٌ، والإراداتُ صلبةٌ، لأنّنا نحني الرؤوسَ أمامَ الربِّ ونؤكّدُ له، أنّنا في عملِنا المجانيِّ في حقلِه متابعون، وأنّنا على تموضُعِنا الإيمانيِّ "بين أرض وسما" ثابتون، وأنّنا سوف نلجُّ على مسمعَيه، فيطرب هو مِن لجاجَتِنا ويستَجيب. سوف نلجّ، إذ نرفعُ الرؤوسَ صوبَ العلى ونستغيثُ، كما استغاثَ الرُسُلُ: **"زدنا إيمانًا"**.

خادمكم

هادي محفوظ
أب عام لبناني

ملاحظة: عملاً بالمادّة ١٧٥ من قوانين رهبانيّتنا، نرغب إلى حضرة الآباء الأجلاّء، رؤساء أديارنا ومراكزنا، أن يُعنَوا بتأمين رياضة روحيّة للجمهور، لا تقل مدّتها عن ثلاثة أيّام، استعدادًا لتجديد نذورهم، في عيد أبينا القدّيس أنطونيوس الكبير؛ كما نرغب إليهم أن تُتلى رسالتنا هذه في المجامع الديريّة أو على المائدة.